﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ﴾

الحروف النورانية :

استفتح الله تعالى بعض سور القرآن بالحروف المقطَّعة وهي : أربعة عشر حرفاً ، وهي : نصف حروف الهجاء الثمانية والعشرين ـ بدون الألف ـ ، وذكرت في تسعة وعشرين سورة ؛ وهو عدد حروف الهجاء إذا ذكرت مع الألف .

وهذه الحروف جمعها بعضهم في قولك : [نصٌّ حكيمٌ قاطعٌ لـه سر] ، وتُسمَّى بالأحرف النورانية وتوزيع هذه الأحرف على السور كما يلي :

١- تبدأ سورتان بخمسة أحرفٍ ، هما : " مريم " وأولها : ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ ، و" الشورى " ، وأولها : ﴿ حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴾ .

٢- وتبدأ سورتان بأربعة أحرف هما : " الأعراف " وأولها : ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ ، و " الرعد " وأولها : ﴿ الٓمٓرٰۚ ﴾ .

٣- وتبدأ ثلاث عشرة سورة بثلاثة أحرف ؛ منها :

- ست سور تبدأ كلٌّ منها بـ ﴿ الٓمٓ ﴾ وهي : البقرة ، وآل عمران ، والعنكبوت ، والروم ، ولقمان ، والسجدة .

- وخمس سور تبدأ كل منها بـ ﴿ الٓرٰۚ ﴾ وهي : يونس ، وهود ، ويوسف ، وإبراهيم ، والحجر .

- وسورتان تبدءآن بـ ﴿ طسٓمٓ ﴾ وهما : الشعراء والقصص .

٤- وتبدأ تسع سور كلٌ منها بحرفين ؛ منها :

- ست سور تبدأ بـ ﴿ حمٓ ﴾ وهي : غافر ، وفصلت ، والزخرف ، والدخان ، والجاثية ، والأحقاف .

- و السور الثلاث الباقية هي : ﴿ طه ﴾ ، و ﴿ طسٓ ﴾ " النمل " ، و ﴿ يسٓ ﴾ .

٥- وتبدأ ثلاث سورٍ كل منها بحرف واحد ، وهي : ﴿ صٓ ﴾ ، و ﴿ قٓ ﴾ ، و ﴿ نٓ ﴾ " القلم " .

معاني الحروف المقطعة في أوائل السور :

واختلف العلماء في هذه الحروف على أقوال [1] :

الأول : أنها من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله ، وهي مما استأثر الله بعلمه ، فردُّوا علمها إلى الله ولم يفسِّروها ، حكاه القرطبي عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود ﷺ ، وهو قول الشَّعبي والثوري وجماعةٌ من المحدثين .

قال أبو بكر الصديق ﷺ : في كلِّ كتاب سرٌّ ، وسرُّ الله تعالى في القرآن أوائل السور .

---

(١) انظر في تفصيل هذه الأقوال : (جامع البيان) للطبري (١/ ٢٠٤ ـ ٢٢٨) ، و(معالم التنزيل) للبغوي (١/ ٥٨ ، ٥٩) ، و (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي (١/ ١٠٨ ـــ ١١٠) ، و (الكشاف) للزمخشري (١/ ٢١) ، و (محاسن التأويل) للقاسمي (١/ ٣٢) .

وقال عليُّ بن أبي طالب ﷺ : لكلِّ كتاب صفوة ، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجّي .

وقال داود بن أبي هند : كنت أسأل الشَّعبي عن فواتح السور فقال : يا داود ، إنَّ لكلِّ كتاب سراً ، وإن سرَّ القرآن فواتح السور ، فدعها وسَلْ عمَّا سوى ذلك .

الثاني : أنها حروف أقسم الله بها ؛ قاله ابن عباس وعكرمة . قال الأخفش : إنما أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لأنها مباديء كتبه المنزلة ومباني أسمائه الحسنى [1] .

الثالث : أن كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه سبحانه ويدل عليه كما قال ابن عباس في : ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ : الكاف من كافي ، والهاء من هادي ، والياء من حكيم ، والعين من عليم ، والصاد من صادق .

وقيل في : ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ : أنا الله الملك الصادق .

وقال الربيع بن أنس في ﴿ الٓمٓ ﴾ : الألف مفتاح اسمه (الله) ، واللام مفتاح (اللطيف) ، والميم مفتاح اسمه (المجيد) .

وقال محمد بن كعب : الألف آلاء الله ، واللام لطفه ، والميم ملكه .

وروى سعيد بن جُبير عن ابن عباس أنه قال : معنى (الٓمٓ) : أنا الله أعلم ، ومعنى (الٓمٓصٓ) : أنا الله أعلم وأفضل ، ومعنى (الٓرٰ) : أنا الله أرى ، ومعنى (الٓمٓرٰ) : أنا الله أعلم وأرى .

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٠٥) ، وتفسير البغوي (١/ ٥٩) .

قال الزجَّاج : وهذا حَسَن ، فإن العرب تذكر حرفاً من كلمة يريدها كقولهم : قلت لها : قفى لنا . قالت : قاف . أي وقفت .

وعن سعيد بن جبير قال : هي أسماء الله تعالى مقطعة ، لو علم الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم . ألا ترى أنك تقول (الٓرٓ) ، و (حمٓ) و (نٓ) فتكون الرحمن ، وكذلك سائرها إلا أنا لا نقدر على وصلها .

الرابع : أنها أسماء للسور ، وهو قول زيد بن أسلم ، وجماعة من المتكلمين ، ونقله الزمخشري عن الأكثرين .

فهذه سورة (قاف) ، وسورة (نون) ، وسورة (ياسين) ، وسورة (طه) ، وسورة (الٓمٓ) البقرة ، و (الٓمٓ) آل عمران ... وهكذا .

الخامس : أن المقصود منها هو تنبيه السامعين وإيقاظهم ، وذلك أن قرع السَّمع في أول الكلام بالأمر الغريب دافع لها أن تُصغي وتتأمَّل ؛ فهي من وسائل التشويق .

ويروى أن النبَّي ﷺ كان يجهر بالقراءة في الصَّلوات ، وكان المشركون يُصفِّرون ويصفقون ؛ فنزلت هذه الحروف المقطَّعه فسمعوها فصاروا متحجِّرين متعجِّبين منه ؛ ويكون تعجُّبهم سبباً لاستماعهم ؛ واستماعهم لها سبباً لاستماع ما بعدها ، فتقوم الحجه عليهم .

السادس : أن المقصود منها بيان نبوة محمد ﷺ من ناحيه أنه ينطق بأسماء الحروف ، مع أنه أُمِّيٌّ لم يقرأ ولم يكتب ، والنُّطق بأسماء الحروف من شأن القاريء وحده ، ولاسبيل للأمي إلى معرفتها ولا النطق بها ، فنطقه بها دليل على أنه من عند الله تعالى .

السابع : إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها ؛ بياناً لإعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله ، هذا مع أنه مركَّب من هذه الحروف التي يُخاطبون بها ، وإلى هذا القول ذهب جماعة من العلماء وأيَّده شيخ الإسلام ابن تيمية [1] .

(١) انظر "تفسير ابن كثير " (١/ ١٧٨ ، ١٧٩) ط . ابن حزم .

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾

قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ ، أي : هذا الكتاب ، وهو القرآن .

وأشار الله ﷻ إلى الكتاب بالإشارة إلى البعيد فقال : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ والمراد هذا القرآن ؛ تعظيماً له وتكريماً ؛ ورفع شأنٍ وعلو مكانة ؛ فكتاب الله ﷻ له المكانة العالية ، فلذلك أشار الله ﷻ إليه بالإشارة إلى البعيد ، فقال : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ ولم يقل هذا الكتاب .

وقوله : ﴿ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ اسم من أسماء كتاب الله ﷻ العظيمة ، كما أن : ﴿ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ اسم من أسماء كتاب الله تبارك وتعالى ، وأسماء القرآن كثيرة ، ولكن هناك اسمان اثنان هما (القرآن ، والكتاب) هما أعظم اسمين لهذا الكتاب العظيم المنزل على نبينا محمدٍ ﷺ ٱلْقُرْءَانَ.

ولماذا هما أعظم اسمين ؟ لأن القرآن حُفِظَ بالقراءة والحفظ في الصدور ، وحفظ بالكتابةِ في السطورِ ، حُفِظَ في صدور الصحابة قراءةً ، وحُفِظَ كتابةً في سطور الأوراق ؛ فحفظ القرآن بهذين الصفتين والطريقتين ، فأصبح هذان الإسمان هما أعظم الأسماء لكتاب الله تبارك وتعالى (القرآن العظيم ، والكتاب الكريم) .

والكتاب مأخوذ من الكتابة، والكتابة في زمن النبي ﷺ كانت عزيزةً وقليلة، ومع ذلك لما كان القرآن ينزل على نبينا وحبيبنا محمد ﷺ كان ينزل مُنَجَّماً حسب الوقائع وحسب الأحداث، وكان للنبي ﷺ كُتَّابُ وحي تَعلَّموا القراءة والكتابة، وكان عليه الصلاة والسلام أُمِّياً لا يقرأ ولا يكتب؛ لا يعرف أشكال الحروف، ولا كيف يَقرؤوها أو يكتبها ﷺ.

وكان من كُتَّابِ الوحي: علي بن أبي طالب؛ وزيد بن ثابت؛ وأُبيُّ بن كعب؛ ومعاوية بن أبي سفيان ﷺ أجمعين.

فإذا نزلت الآية على حبيبنا محمد عليه الصلاة والسلام، قال له جبريل: يا محمد، إن الله يأمرك أن تضع هذه الآية في موضع كذا، في رأس سورة كذا وكذا.

فيأتي عليه الصلاة والسلام إلى أصحابه ويقول لهم: ضعوا هذه الآية في موضع كذا، فكان القرآن ينزل فتنزل هذه الآية فتوضع في سورة البقرة، وتلك في سورة آل عمران، وتلك في سورة كذا، وهكذا يقسمها ليس من عند نفسه ولكن توقيفاً من الله تبارك وتعالى، وتعليماً من جبريل لحبيبنا ﷺ، ثم لأصحابه ﷺ وأرضاهم.

ثم على أي شيءٍ كانوا يكتبون هذه الآيات العطرة الكريمة؟.

كانوا يكتبونها على العسب ، وعلى اللخاف ، وعلى الرقاع ، وقطع الأديم ، وأكتاف العظام ، وعلى أشياء من هذا القبيل لندرة الورق في أيامهم ، ولقلة الكتابة في مكة .

أما العسب : فهي من شجر النخل ، وأما اللخاف : فهي الحجار الرقيقة ، وأما الرقاع : فهي إما من الجلد ، وإما من الورق وهو نادر ، فأي شيءٍ تيسر من عظامٍ أو من أديمٍ أو من لخافٍ أو عسبٍ أو غير ذلك كتب عليه الصحابة .

ثم تُجمَعُ هذه الأشياء المختلفة التي تختلف بعضها عن بعض ، حجارة وعظام وأوراق وجلود ، تجمع في بيت النبي ﷺ .

والرسول عليه الصلاة والسلام لم يجمع القرآن في عصره وفي زمانه في مصحفٍ واحد ، لسببٍ واضحٍ وبَيِّن ، وهو أن القرآن كان ينزل على الرسول باستمرار ، إلى السنة التي توفَّاه الله ﷻ فيها .

فما كان له عليه الصلاة والسلام أن يكتبه مصحفاً ، والقرآن لم يكتمل بعد ؛ فجمع بهذه الطريقة ، وكان في صدور الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وأرضاهم ، وفي صدره عليه الصلاة والسلام ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾[1] شهادة من الله لأصحاب النبي ﷺ .

---

(١) العنكبوت : ٤٩ .

فحفظه عليه الصلاة والسلام ، بل وكان يقوم ويصلي به في الليل عليه الصلاة والسلام حتى تفطرت قدماه ، فقيل له عليه الصلاة والسلام في ذلك ، فقال : (أفلا أكون عبداً شكوراً)[1] فكان سيد الحُفَّاظِ ﷺ ، وذلك لما نزل عليه قوله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝ ﴾[2] .

وكان جبريل عليه السلام يراجعه القرآن في كل عام مرة في رمضان ، ويُذاكِره ما حفظه ، ويراجعه معه عليه الصلاة والسلام .

وكان النبي عليه الصلاة والسلام إذا قرأ جبريل القرآن يُردِّد وراءَ جبريلَ خوفاً من أن ينسى شيئاً من القرآن ، فنهاه الله تبارك وتعالى وقال له : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾[3] يعني سنحفظك القرآن فلن تنساه ، فهذه ليست مهمتك أن تحفظ ، وإنما هي مهمة الله تبارك وتعالى ، يُسَجّلَه في عقلك وقلبك تسجيلاً من المرة الأولى ، فحفظه عليه الصلاة والسلام .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٦) ، ومسلم (٢٨١٩) من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ ، والبخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠) من حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبيِّ ﷺ .

(٢) المزمل : ١ ـ ٥ .

(٣) الأعلى : ٦ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، في قوله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ قال : كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدةً ، وكان مما يُحرِّك شفتيه ـ فقال ابن عباس : فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركهما ، فحرك شفتيه ـ فأنزل الله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ . قال : جمعه له في صدرك وتقرأه : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ فاستمع له وانصت : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾[1] ثم إن علينا أن تقرأه ، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع ، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه [2].

قال ابن عباس : كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالوحي ، كان مما يحرك به لسانه وشفتيه . فيشتد عليه . فكان ذلك يُعرف منه . فأنزل الله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ أخذه ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ إن علينا أن نجمعه في صدرك ﴿ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ فتقرأه . ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ قال : أنزلناه فاستمع له . ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ أن نبينه بلسانك . فكان إذا أتاه جبريل أطرق . فإذا ذهب قرأه كما وعده الله [3].

---

(١) القيامة : ١٦ ـ ١٩ .

(٢) رواه البخاري (٥) .

(٣) رواه مسلم (٤٤٨) .

وأخذه الصحابة من فمه عليه الصلاة والسلام غضاً طرياً فانطبع في قلوبهم ونفوسهم رضوان الله تعالى عليهم جميعاً ، وكان العرب مشهورين قبل الإسلام بشدة الحفظ ، وقوة الحافظة ، وقوة عقولهم حتى أنهم ليحفظون من أول مرة ؛ كان الواحد منهم يسمع أبياتاً طويلة من الشعر ، فإذا به يحفظها فور سماعها فجاء القرآن ونزل على هذا المجتمع العربي سريع الحفظ ، فحُفِظَ كتابُ الله ﷻ في الصدور ، ثم جاءت هذه الكتابة ، وأثبت هذا القرآن العظيم في السطور .

ولما توفي النبي عليه الصلاة والسلام ، واكتمل نزول القرآن ، وحدثت معركة اليمامة ، وكان فيها جماعة كبيرة من القُرَّاء حفظة القرآن العظيم من الصحابة ، وقُتل منهم سبعون رجلاً في تلك المعركة ، سبعون من قُرَّاء القرآن العظيم يموتون في معركة واحدة ، هي معركة اليمامة المعروفة مع مسيلمة الكَذَّاب الذي ادعا النبوة ؛ مما دفع الصحابة رضوان الله عليهم للتفكير في جمع القرآن وتدوينه .

ففي صحيح البخاري عن زيد بن ثابت قال : أرسل إليَّ أبو بكر مَقتَلَ أهلِ اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : إن عمر بن الخطاب أتاني ، فقال: إنَّ القتل قد استَحَّر[1] بِقُرَّاءِ القرآن ، وإني أخشى أن يستحرَّ القتل بالقُرَّاء

---

(١) يعني : اشتدّ .

في المواطن ، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. فقلت لعمر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير . فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر .

قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتَّهمك ، وقد كنت تكتبُ الوحيَ لرسول الله ﷺ ، فتتبَّع القرآن فاجمعه . والله لو كلَّفوني نقل جبل من الجبال ما كان عليَّ أثقل مما أمرني به من جمع القرآن .

قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال : هو والله خير ؟.

فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فتتبَّعت القرآن أجمعه من العسب واللِّخاف [1] وصدور الرجال ، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خُزيمة الأنصاري ، لم أجدها مع غيره [2] قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ... ﴾ حتى خاتمة براءة .

---

(١) اللِخاف : بكسر اللَّام؛ جمع "لخفة" ، وهي صفائحُ الحجارة الرقاق، وتُجمع على "لُخُف" بضمتين ، "فتح الباري" (٨/ ٦٣١) .

(٢) يعني : مكتوبة ، صرَّح به جماعة منهم الحافظ في "الفتح" (٨/ ٦٣٢) .

فكانت الصُحف عند أبي بكر ﷺ حتى توفاه الله ، ثم عند عمر في حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي ا لله عنها وعن أبيها [1].

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ : وهـذا أحـسنُ وأَجَـلُّ وأعظـمُ مـا فعلـه الصديق ﷺ ، فإنه أقامه الله تعالى بعد النبِّي ﷺ مقاماً لا ينبغي لأحدٍ من بعده : قاتلَ الأعداء من مانعي الزكاة والمرتـدين والفـرس والـروم، ونفَّـذ الجيـوش، وبعثَ البعوثَ والسرايا ، وردَّ الأمر إلى نصابه ، بعد الخوف من تفرُّقِهِ وذهابه ، وجمعَ القرآن العظيم من أماكنهِ المتفرقة حتى تمكَّن القارىء من حفظه كله .

وكان هذا من سِّر قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾.

فجمع الصديق الخيَروكفـ َّ الشرور ، ﷺ وأرضـاه ، ولهـذا روي عـن غـير واحدٍ من الأئمة منهم : وكيع ، وابن مهدي ، وقُبيصة عن سفيان الثوري ، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير ، عن عبد خير ، عن عليِّ أبي طالـب ﷺ أنه قال :

أعظم الناس أجراً في المصحف أبو بكر ، إنَّ أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين .

قال الحافظ ابن كثير : هذا إسناد صحيح [2] . أ . هـ .

---

(١) رواه البخاري في فضائل القرآن ، رقم (٤٩٨٦) ، وانظر : "الفتح" (٨/ ٦٢٧) .

(٢) انظر : " فضائل القرآن " للحافظ ابن كثير (٥٦ ـ ٥٧) ط . مكتبة ابن تيمية . القاهرة .

(وقد راعى زيد بن ثابت نهاية التثبيت ، فكان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة ، وقوله في الحديث : (ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره) لا ينافي هذا ، ولا يعني أنها ليست متواترة ، وإنما المراد أنه لم يجدها مكتوبة عند غيره ، وكان زيد يحفظها ، وكان كثير من الصحابة يحفظونها كذلك ، لأن زيداً كان يعتمد على الحفظ والكتابة معاً ، فكانت هذه الآية محفوظة عند كثير منهم ، ويشهدون بأنها كتبت ، ولكنها لم توجد مكتوبة إلا عند أبي خزيمة الأنصاري .

أخرج ابن أبي داود من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال : قدم عمر فقال : (من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأت به ، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان) وهذا يدل على أن زيداً كان لا يكتفي بمجرد وجدانه مكتوباً حتى يشهد من تلقاه سماعاً ، مع كون زيد كان يحفظ ، فكان يفعل ذلك مبالغة من الاحتياط .

وأخرج ابن أبي داود أيضاً من طريق هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر قال لعمر وزيد : (اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه) ورجاله ثقات مع انقطاعه .

قال ابن حجر : وكأن المراد بالشاهدين : الحفظ والكتاب .

وقال السخاوي في " جمال القراء " : المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن .

قال أبو شامة : وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي ﷺ ، لا من مجرد الحفظ ، ولذلك قال في آخر سورة التوبة : (لم أجدها مع غيره) أي لم أجدها مكتوبة مع غيره لأنه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة)[1].

فكُتِبَ القرآن في عهد النبي ﷺ ، وليس كالتوراة التي لم تكتب في عهد موسى عليه السلام ، بل كتبت بعده بعهود كثيرة ، والذين كتبوها جاءوا بشيءٍ مما تذكروه ، وحرفوا كتاب الله تبارك وتعالى ؛ أما القرآن ، فقد كُتِبَ في عهد النبي ﷺ .

ثم لما تُوفي أبو بكر أخذه عمر عنده في البيت ، فلما توفي عمر أخذته حفصة أم المؤمنين زوج النبي ﷺ وبنت عمر بن الخطاب ﷺ جميعاً .

ولما خرج حذيفة بن اليمان في جهاده مع المسلمين إلى أرمينيا وأذربيجان ، ووجد المسلمين يختلفون في قراءتهم ؛ وجد هؤلاء يقرؤون بقراءة ، وأولئك بقراءة ، وأخذ الاختلاف بينهم يَدُبُّ ؛ عند ذلك عاد حذيفة ﷺ وأرضاه لعثمان ﷺ وقال : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها كاختلاف اليهود والنصارى .

---

(١) انظر : " الإتقان " (٥٨ / ١) ، و " مباحث في علوم القرآن " لمناع القطان ص (١٢٦ ، ١٢٧) ط. مؤسسة الرسالة .

عند ذلك طلب عثمان ﷺ وأرضاه المصحف من بيت حفصة ، وطلب أيضاً زيد بن ثابت ، وشَكَّل معه لجنةً من الصحابة من القرشيين ؛ عبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ؛ وأوصى عثمان ﷺ هذه اللجنة التي شكلها لجمع القرآن بقوله : إذا اختلفتم أنتم وزيد ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قرشي ؛ فإنما نزل بلسانهم .

فنسخوا المصحف على عدة نسخ ، وَوُزِّعتْ هذه النسخ في الأمصار ، وأمر عثمان برد النسخة الأصلية إلى حفصة ، وأمر بإحراق المصاحف الأخرى ، حتى لا تتعدد المصاحف ويحصل الخلاف والتحريف فيما بعد لكتاب الله تعالى .

والنسخ التي أرسل بها عثمان ﷺ إلى كل بلدٍ إسلامي ؛ هي التي سار عليها المسلمون بعد ذلك ، وانقطع الخلاف بحمد الله تبارك وتعالى وفضله وكرمه ، لما كُتِبَت هذه المصاحف ، فراح أحدها إلى الشام ، والآخر إلى بلاد العراق ، ومصحف آخر في بلاد اليمن ، وآخر إلى بلاد ما وراء النهر ، ولا زال موجوداً عندهم يتوارثونه : مصحف عثمان ﷺ وأرضاه ، وقد كتب على جلد الغزال ، لا زالوا يحتفظون به .

هذه هي قصة كتابة القرآن العظيم التي ينبغي على كل مسلم أن يفهمها ، وأن يعيها ، وأن يفتخر بها ، ويفاخر بها الناس ؛ لأن الله ﷻ أكرمه وحفظ له كتابه ، وحفظ له دينه بحفظ القرآن .

والله إن ديننا كُلَّه بشرائعه كلها من أولها إلى آخرها ؛ محفوظٌ بكتاب الله تبارك وتعالى ، فلله ﷻ الحمد والمنة .

إنَّ ما قام به الصحابة الكرام رضوان الله عليهم من جمع القرآن له دور عظيم في حياة المسلمين ، وله أهمية كبرى ، فهو الذي حفظ عليهم دينهم ، وحفظ عليهم شريعتهم ، وحفظ عليهم عِزَّهم ، وحفظ عليهم مجدهم .

أربعة عشر قرناً ونحن ننعم بخير هذا الدين ، وخير هذا الإسلام ، وخير هذا الإيمان ، وإلى قيام الساعة بإذن الله تبارك وتعالى ، وصدق الله القائل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ .

وهذه التوراة والإنجيل أمام أعينكم ، كيف فعل بها الناس ؟! وكيف تناقلوها حتى كتبها من كتبها بعد عيسى وبعد موسى عليهما صلوات الله وسلامه بسنوات وسنوات عديدة عديدة ، كتبها من كتبها منهم على ما تذكروه مما نُقل لهم ، وأغلبُ هذه الكتابات هي من أساليبهم ومن إنشائهم ، ومن ألفاظهم ، وليست من كلام الله تبارك وتعالى ، ولا من كتابه سبحانه وتعالى .

وهذا فضل الله ﷻ علينا أمة الإسلام ، أن أكرمنا وحَفِظَ علينا كتابنا وديننا ، والحمد لله رب العالمين .

﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾

وقوله تعالى : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أي : لا شك فيه ، (والريبة : قلق النفس واضطرابها ، ثم استعمل في معنى الشك مُطلقاً ، أو مع تهمة ، لأنه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة) [1] .

وصحَّ عن الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما أنه قال : حفظت من رسول الله ﷺ : (دع ما يريبك إلى مالا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة) ولفظ ابن حبان : (فإن الخير طمأنينة وإن الشر ريبة) [2] .

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى : (ومعنى هذا الحديث يرجع إلى الوقوف عند الشُّبهات واتِّقائها ، فإن الحلال المحض لا يحصل للمؤمن في قلبه منه ريب ـ والريب : بمعنى القلق والاضطراب ـ بل تسكن إليه النفسُ ، ويطمئن به القلبُ وأما المشتبهات فيحصلُ بها للقلوب القلقُ والاضطراب الموجب للشك .

قال أبو عبد الرحمن العمري الزاهد : إذا كان العبد ورعاً ، ترك ما يَريبه إلى مالا يريبُه .

---

(١) تفسير القاسمي (١ / ٣٣) .

(٢) رواه الترمذي (٢٥١٨) وقال : حديث حسن صحيح . ورواه ابن حبان (٧٢٢) .

وقال الفُضَيْل : يزعم الناس أن الورع شديد ، وما ورد عليّ أمران إلا أخذت بأشدِّهما ، فدع ما يريبك إلى مالا يريبك . وقال حسَّان بن أبي سِنَان : ما شيءٌ أهون من الورع ، إذا رابك شيء فدعه [1] . وهذا يسهل على مثل حسان رحمه الله .

وقال عمر ﷺ : دعوا الربا والريبة . يعني : ما ارتبتم فيه ، وإن لم تتحققوا أنه ربا) [2] . أ . هـ .

والمراد بالآية : أن هذا الكتاب ـ وهو القرآن ـ لا شكَّ فيه أنه منزَّلٌ من عند الله تعالى كما قال سبحانه : ﴿ الٓمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [3] .

وقال بعضهم : هذا خبر ، ومعناه النهي ، أي : لا ترتابوا فيه .

ومن القرَّاء من يقف على ﴿ لَا رَيْبَ ﴾ ، ثم يبدأ بقوله : ﴿ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ .

---

(١) ذكر البخاري في صحيحه ؛ كتاب البيوع ، باب تفسير المشبَّهات (٣/ ٥٣) قول حسَّان ابن أبي سنان ـ رحمه الله ـ بلفظ : (ما رأيت شيئاً أهون من الورع ، دعْ ما يريبك إلى مالا يريبك) .

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٨٠) ط . الرسالة . بتصرف .

(٣) السجدة : ١ـ ٢ .

ويدل على الوقوف على (فِيهِ) قوله تعالى في سورة السجدة : ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) .

وأهل الإيمان والتقوى لا ريبة في قلوبهم ولا ارتياب ، فإيمانهم راسخٌ رسوخ الجبال الرواسي ، وأما الريبة والشك ، والقَلَق والاضْطراب ، والتذبذب وعدم الثبات ؛ فهي من صفات المنافقين والكافرين .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴾(٢) .

وقال سبحانه في حق المنافقين : ﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ ﴾ (٣) .

وقال ﷻ : ﴿ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (٤) .

كأن الريبة توقع صاحبها في التردد ، وتوقعه في المهالك ، وتوقعه في الضياع فهو تائه ضائع لا يعرف طريق الخير ولا طريق الصلاح ، أما الذي انتفى إيمانه من الريبة فهو على صراط الله المستقيم ، وهو على نور من ربه ، وهداية من ربه .

---

(١) قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله في تفسيره (التحرير والتنوير) الجزء الأول ، صـ (٢٢٧ ، ٢٢٨) ط . الجزائر : وجملة (لا ريب) إن كان الوقوف على قوله : (لا ريب) : تعريضٌ بكل المرتابين فيه من المشركين وأهل الكتاب ، أي أن الارتياب في هذا الكتاب نشأ عن المكابرة ، وأن لا ريب فإنه الكتاب الكامل ، وإن كان الوقوف على (فيه) : كان تعريضاً بأهل الكتاب في تعلقهم بمحرف كتابيهم مع ما فيهما من مثار الريب والشك من الاضطراب الواضح الدال على أنه من صنع الناس ، قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ . أ .هـ .

(٢) الحجرات : ١٥ .

(٣) النور : ٥٠ .

(٤) التوبة : ٤٥ .

وقال سبحانه في حق الكافرين : ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴾ (١) .

وقال جلَّ وعلا : ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ (٢) .

إذاً ينبغي عليك أخي المسلم أن تتصف بالصفة الأولى ، صفة الإيمان مع التنزه عن الريبة والشك في دين الله ﷻ ، فإن كان في نفسك شك في آيةٍ من آيات الله ، أو حديثٍ من أحاديث رسول الله ﷺ ، أو شرعٍ من شرائع الله ، فعليك أن تقصد العلماء ليُزِيلوا عنك الشك والريبة التي في نفسك ، أما إن سَكَتَّ عن هذه الريبة ، وجاءت عليها ريبة أخرى ، وانضاف إليها شك آخر ، فيُصبح إيمان الإنسان ضعيفاً ، وهذا هو حال المسلمين في هذه الأيام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، خاصةً الذين يعترضون على شرائع الله ، وعلى أحكام الله تبارك وتعالى ، وعلى حدود الله .

لو أنهم نظروا بعين البصيرة ؛ في الأسرار والحكم من هذه التشريعات ، ومن هذه الحدود التي يرونها فظيعةً شديدة قاسية في نظرهم ، أو سألوا ـ إن لم يستطيعوا النظر والتفكر ـ أهلَ العلم والمعرفة والخبرة ؛ لرأوها غايةً في الرحمة ، ولرأوها غايةً في الكرامة والسلامة ، والأمن والإيمان .

---

(١) ق : ٢٤ ـ ٢٥ .

(٢) غافر : ٣٤ .

القرآن من عند الله

والقرآن هو كلام الله تعالى ، لا شك في هذا ولا ريب ؛ ورسولنا محمد ﷺ ، لم يأت به من عند نفسه [1] ؛ حاشا وكلا ، ويدل على أن القرآن ليس من عند النبي محمد ﷺ ، بل هو من عند الله رب العالمين ، أمورٌ كثيرة جداً منها :

١ - **اشتماله على آيات العتاب** التي جاءت تعاتب النبي ﷺ ؛ وفيها من الشدة أحياناً الشيءَ الذي يستغربه الإنسان ، فلو كان القرآنُ من عند نبينا محمد ﷺ لما جاء بآياتٍ يُعاتِبُ فيها نفسه ، ويُحاسِبُ نفسه ، ولو كان بواسطة نبينا محمدٍ نقله عن فلان أو علان ، لما نقل عن نفسه العتاب .

كقوله تعالى : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ [2] عندما جاءَه المنافقون في غزوة تبوك يستأذنونه في القعود ، فأذن لهم النبي ﷺ ، وسمح لهم بأن يتخلفوا ، فنزلت هذه الآيات وفي بدايتها العفو عن النبي ﷺ ، لأنه عليه الصلاة والسلام ما قال هذا الكلام من عند نفسه ، وإنما بعد أن اجتهد ، والمجتهد له أجران إن أصاب ، وأجرٌ إن أخطأ .

---

(١) يزعم بعض المستشرقين أن هذا القرآن جاء به محمد . فمنهم من يقول : جاء به من عند بحيرا الراهب ، ومنهم من يقول : جاء به من عند نفسه .

ولحكمةٍ يريدها الله جل وعلا ؛ جعل نبيه نبياً لا يقرأ ولا يكتب عليه الصلاة والسلام ، مما يدل على أن القرآن ليس من عند نبينا محمد ﷺ ، إنما هو من عند الله ، وليس منقولاً بواسطةِ محمدٍ إنما منقولاً عن الله ﷻ .

(٢) التوبة : ٤٣ .

وفي آيةٍ أخرى عاتب نبيه عليه الصلاة والسلام عتاباً شديداً في غزوة بدر ، لما ألقى المسلمون القبض على سبعين من الأسرى ، فتشاور النبي عليه الصلاة والسلام مع أصحابه : ماذا نفعل في الأسرى ؟ هل نقتلهم ؟ أو أننا نفديهم بأموالهم ثم يعودون إلى أقوامهم ؟.

فقال أبو بكر : بل نفديهم . وقال عمر بن الخطاب : بل نقتلهم .

فمال النبي ﷺ مع قول أبي بكرٍ بالعفو عنهم ، وأخذ الفدية والأموال منهم ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثماً ؛ لرحمته عليه الصلاة والسلام ، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [1] . تهديد ووعيد من الله تبارك وتعالى ، ثم بعد ذلك عفا عن نبيه في نفس الآيات ، وقال في ختام هذه الآيات : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، جاء عمر ووجد الرسولَ ﷺ وأبا بكر يبكيان ، فقال لهما عمر ﷺ : لماذا تبكيان ؟ إن كنتم بكيتم على شيء بكيت معكم .

قال عليه الصلاة والسلام : (لو نجا أحدٌ مِنَّا لنجا عمر) يبكي على هذا العتاب الشديد من ربه تبارك وتعالى ؛ فلو كان القرآن من عند نبينا محمدٍ ﷺ فهل عاتب نفسه بمثل هذا العتاب ، وهل قسى على نفسه بمثل هذه القسوة .

---

(١) الأنفال : ٦٧ .

وقولـه تعـالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴾ [1] ، هذا عتابٌ شديدٌ للنبي ﷺ ، لأنه كان يتحدث مع مشركي مكة وكبرائهم وصناديدهم ، فجاءه عبد الله بن أم مكتوم ـ وهو الأعمى الذي أشارت له الآية ـ جاء يسأل الرسول ﷺ ، قال : يا رسول الله أريد أن أسألك في أمور أنتفع بها في ديني ، فغضب النبي ﷺ ، لأنه يريد أن يُبَلِّغَ الرسالة لأولئك الناس ، لم يغضب إهانةً له ، واحتقاراً له ، لا وإنما يريد أن يُبَلِّغَ الرسالة لغيره من صناديد مكة ، فهذا مُسلِمٌ وبإمكانه أن يسأل وأن يتعلم في غير هذا الوقت ، والنبيُّ يريد الآخرين الذين لم يسلموا ، فعاتبه الله بهذا العتاب .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [2] .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [3] .

وقولـه تعالى : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾ [4] .

---

(١) عبس : ١ـ ٢ .

(٢) النساء : ١١٣ .

(٣) الشورى : ٥٢ .

(٤) الإسراء : ٨٦ ـ ٨٧ .

٢- **مانَزَل بعد طول انتظار** : حيث تأخر نزول الوحي على النبي ﷺ ، ولا سيما في بعض المواطن الحرجة بالنسبة للنبيِّ ﷺ ؛ ولو كان القرآن من عنده لما حَصَل شيءٌ من ذلك .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾[1] . الإفك : الكذب والافتراء من الذين تكلموا على زوجته عائشة رضي الله عنها ؛ ولقد مكث رسول الله ﷺ أربعين يوماً ، والمنافقون ومن تأثَّر بكذبهم وافترائهم يتكلمون في عرض النبي ﷺ ، فلو كان القرآن من عند نفسه لأنزل كلاماً من عند نفسه في ذلك الوقت ، يُبَرِّئُ زوجته رضي الله عنها .

وهو الذي قال لها قبل نزول الآيات بقليل : (يا عائشة ، فإنه بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرِّئُكِ الله ، وإن كنتِ ألممتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه)[2] .

فهو ﷺ لا يعلم الغيب ، ولا يستطيع أن يدافع عن نفسه عليه الصلاة والسلام ، فأنزل الله تبارك وتعالى الآيات الكاشفات الواضحات ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ﴾[3] بعد أربعين يوماً .

---

(١) النور : ١١ .

(٢) حديث الإفك بتمامه رواه البخاري في كتاب التفسير (٤٧٥٠) باب : ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ .

(٣) النور : ١١ .

وبعد أن كان النبي ﷺ يُقَلِّب وجهه في السماء ، وهو متجه إلى بيت المقدس ، ويريد أن يتجه إلى مكة ، ويطلب من الله أن يوجهه إلى مكة ، ومكث سنةً ونصف سنة وهو يريد أن يتجه إلى الكعبة ، وينتظر الإذن من ربه تبارك وتعالى ، حتى نزل قول الله : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[1] ، بعد طول انتظار وبعد مشقةٍ وتعب .

وجاءه ذات يومٍ مشركون في مكة يسألونه عن أصحاب الكهف ، فقال لهم : لا أعلم ، ولكن ائتوني في الغد حتى أعطيكم الجواب . ولم يقل : إن شاء الله ، فلما جاء الغد تأخَّر الوحي عليه ، ولم ينزل القرآن على النبي ﷺ ، وتعدَّدت الأيام ، والرسول ﷺ ينتظر ، حتى تَكَلَّم المشركون وقالوا : إن رب محمدٍ قد قَلَى محمداً ـ أبغضه وكرهه ـ فلم ينزل عليه الوحي ، فاشتد الألم على رسول الله ﷺ ، وهو ينتظر الوحي من الله ﷻ ، حتى يُعطِيَ الجواب لهؤلاء الناس ؛ حتى نزل قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾[2] اختبار وامتحان من الله تبارك وتعالى .

---

(١) البقرة : ١٤٤ .

(٢) الضحى : ١ ـ ٥ .

فلو كان القرآن من عند رسول الله محمد ﷺ ، لجاءَهم بالجواب في نفس الوقت ، أو لجاءَهم بالجواب في ا ليوم الثاني ، ولكنه تأخَّر عليه تعليماً لهذه الأمة ، وتربيةً للمسلمين ، وكذلك تأديباً لأعداءِ الله من الكافرين .

وكذلك قوله ﷻ : ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ لما نزلت هذه الآية اشتد على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، قالوا : يا رسول الله ، هذه الآية لا نُطيقها ، يُحاسِبُنا الله على ما في أنفسنا ، حتى ما في داخل قلوبنا سوف يحاسبنا الله عليه ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾[1] .

فقال عليه الصلاة والسلام : لا تكونوا كمثل اليهود والنصارى ، قالوا : سمعنا وعصينا ، ولكن قولوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير .

فاشتد عليهم الأمر . حتى نزل قول الله تبارك وتعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾[2] ونزل قوله ﷻ : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾[3] وَخفَّف سبحانه عن هذه الأمة ورحمها .

٣- وهناك آيات كثيرة تدل على أن القرآن ليس من كلام رسول الله محمد ، وإنما هو من كلام الله تبارك وتعالى .

---

(١) البقرة : ٢٨٤ .

(٢) البقرة : ٢٨٦ .

(٣) التغابن : ١٦ .

ومنهـــا قولـــه ﷻ : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾[1] ، وقولـــه ﷻ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾[2] ، وقوله ﷻ : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ۝ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾[3] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾[4] .

كل هذه الآيات وغيرها كثير وكثير إنما تدل على أن هذا القرآن هو كلام الله لا ريب فيه ، ليس من كلام محمدٍ ولا من كلام البشر .

٤ - ثم إن إعجاز القرآن الكريم في مختلف المجالات أقوى دليل على أنه من عند الله تبارك وتعالى .

(١) النساء : ١١٣ .

(٢) الشورى : ٥٢ .

(٣) الإسراء : ٨٦ ـ ٨٧ .

(٤) التوبة : ٨٤ .

﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ هُدًى ﴾ . أي : نورٌ وهدايةٌ من الضلال للمتقين ؛ لا لغيرهم .

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : (قوله تعالى : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ صرَّح في هذه الآية بأن هذا القرآن هدى للمتقين ، ويفهم من مفهوم الآية ـ أعني مفهوم المخالفة المعروف بدليل الخطاب ـ أن غير المتَّقين ليس هذا القرآن هدى لهم ، وصرَّح بهذا المفهوم في آيات أخر كقوله : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[2] .

وقوله : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾[3] .

---

(١) فصلت : ٤٤ .

(٢) الإسراء : ٨٢ .

(٣) التوبة : ١٢٤ ـ ١٢٥ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾[1] .

ومعلوم أن المراد بالهُدى في هذه الآية : الهدى الخاص الذي هو التفضل بالتوفيق إلى دين الحق ، لا الهدى العام ، الذي هو إيضاح الحق)[2] .

وقال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله : (والهدى في هذا الموضع مصدرٌ من قولك : هديتُ فلاناً الطريق ـ إذا أرشدتَه إليه ، ودللتَه عليه ، وبيَّنْته له ـ أهديه هُدىً وهداية . فإن قال لنا قائل : أوَ ما كتاب الله نوراً إلا للمتَّقين ، ولا رشاداً إلا للمؤمنين ؟ قيل : ذلك كما وصفه الله ربنا ﷻ ، ولو كان نوراً لغير المتقين ، ورشاداً لغير المؤمنين ، لم يخصِّص الله ﷻ المتَّقين بأنه لهم هدىً ، بل كان يَعُمُّ به جميعَ المنذَرين ، ولكنه هدىً للمتقين ، وشفاءٌ لما في صدور المؤمنين ، ووَقْرٌ في آذان المكذِّبين ، وعمىً لأبصارِ الجاحدين ، وحجةٌ لله بالغةٌ على الكافرين ، فالمؤمن به مُهْتدٍ ، والكافرُ به محجوجٌ)[3] .

---

(١) المائدة : ٦٨ .

(٢) أضواء البيان (١/ ٤٥) ط . عالم الكتب .

(٣) تفسير الطبري (١/ ٢٣٤) ط . دار هجر .

أنواع الهداية :

وأنواع الهداية المذكورة في كتاب الله تعالى أربعة ؛ وهي :

١ - **الهداية العامة المشتركة بين جميع المخلوقات** ، قال تعالى : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾[١] . وقوله سبحانه : ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[٢] .

٢ - **هداية دلالة وإرشاد** : وهذه عامة لجميع البشر مؤمنهم وكافرهم ؛ فقد أرشد اللهُ عباده كلهم للطريق المستقيم ، ودلَّهم عليه وأمرهم بسلوكه ؛ ونهاهم عن ضدِّ ذلك .

وكذلك فإنها تكون من الله ، ومن العباد بأن يُرشد بعضهم بعضاً إلى الصواب والطاعة ، وهي المرادة بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٣] ، وقوله سبحانه : ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[٤] ، أي : بيَّنا له الطريقين الواضحين : طريق الخير وطريق الشر .

---

(١) الأعلى : ١ ـ ٣ .

(٢) طه : ٥٠ .

(٣) الشورى : ٥٢ .

(٤) البلد : ١٠ .

وهذه الهداية أوجبها الله سبحانه على نفسه رحمة بعبادة ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾ (١) .

وبهذه الهداية يظهر اختيار العاقل المكلَّف ؛ فإما أن يختار ويستحبَّ الإيمان ، وإما أن يختار ويستحبَّ العمى على الهدى . قال سبحانه : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾(٢) ، أي : بيَّنَّا لهم وأرشدناهم ودَلَلناهم .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (٣) .

٣- هداية توفيق وإلهام : ولا تكون إلا من الله وحده ، ولأهل تقواه وطاعته ورضاه ، فهي خاصَّةٌ لا عامة ؛ وهي التي نطلبها منه سبحانه كل يوم مرات ومرات في قولنا : ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ أي : وفقنا للهداية وثبِّتنا عليها ، وهي المرادة بقوله سبحانه : ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ (٤) . وقوله : ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴾(٥) . وقوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(٦) . وقوله ﷻ : ﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ

---

(١) الليل : ١٢ .

(٢) فصلت : ١٧ .

(٣) الإنسان : ٣ .

(٤) البقرة : ٢٧٢ .

(٥) الزمر : ٣٧ .

(٦) القصص : ٥٦ .

عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾(1) .

وقوله ﷻ : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾(2) .

نسأل الله أن يجعلنا من أهلِ هدايته ، وأن يخصنا بالمزيد من توفيقه ورعايته . آمـيــن .

٤ - **الهداية إلى الجنة** : وهي غاية الهداية ومنتهاها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾(3) .

وقوله سبحانه : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(4) .

---

(١) الكهف : ١٧ .

(٢) الرعد : ٣٣ .

(٣) يونس : ٩ .

(٤) الأعراف : ٤٣ .

التقوى في اللغة والشرع

وقوله : ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ، **التقوى لغةً** : من الإتِّقاء ، وأصله من الحاجز بين الشيئين ، ومنه يقال اتقىَّ بترُسه أي : جعله حاجزاً بينه وبين عدِّوه .

والتقوى شرعاً : أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية باتِّباع أوامره واجتناب نواهيه ، والتقوى محلها القلب لما جاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال : (**التقوى ها هنا**) ويشير إلى صدره ثلاث مرات . . .) [1] ؛ وتظهر آثارها باستقامة الجوارح على طاعة الله تعالى .

وقد سُئل علي بن أبي طالب ﷺ عن معناها فقال : (الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل) .

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ في قوله تعالى : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾[2] قال : (أن يُطاع فلا يُعصى ، ويذكر فلا يُنسى ، ويُشكر فلا يكفر) .

وسأل عمرُ بنُ الخطاب ﷺ أُبيَّ بنَ كعب ﷺ عن التقوى ؟ فقال له أُبي ﷺ : (أما سلكت طريقاً ذا شوك ؟) فقال : بلى . قال : (فما عملت؟) قال : شمَّرت واجتهدت [3] . قال : (**فذلك التقوى**) [4] .

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤) كتاب البر والصلة ، من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً .

(٢) آل عمران : ١٠٢ .

(٣) أي : شمَّرتُ ثيابي ، واجتهدتُ أن لا يُصيبَ الشوك قدمي وبدني .

(٤) أي : أن تشمر في طاعة الله ، وتجتهد أن لا تقع في معصية الله .

وقد أخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال :

خَـــلِّ الـــذنوبَ صـــغيَرها وكبيرَهـــــا ذاك التُّقـــــى

واصْـــنَع كَـــمَاشٍ فـــوقَ أر ضِ الشَّوكِ يحـذرُ مـا يَـرى

لا تحقـــــرنَّ صـــــغيرةً إنَّ الجبـــالَ مِـــن الحـــصى

فلذلك المتقي مثله كمثل الذي يسير على الشوك ، الهمُّ في قلبه والاضطراب في نفسه ، والقلق والخوف من أن يقع في معصية الله تبارك وتعالى .

فالمتقي لله ﷻ لا يأخذ هذه الدنيا هكذا بطمأنينة وراحة وفرح ، وهو يعرف أنه في دار اختبار وابتلاء ، بل هو متقٍ خائف من الوقوع في الذنوب والمعاصي يسأل عن كل أمر ؛ إذا جاءه المال من أين هذا المال ؟ كيف جاء هذا المال ؟ كما كان حال أبي بكر الصديق ﷺ .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان لأبي بكر غلامٌ يُخرِجُ لـه الخَراجَ ، وكان أبو بكرٍ يأكلُ من خَراجِهِ ، فجاءَ يوماً بشيءٍ ، فأَكَلَ منه أبو بكرٍ فقال لـه الغلامُ : أتدري ما هذا ؟ فقال أبو بكرٍ : وما هو ؟ قال : كنتُ تَكهَّنتُ لإنسان في الجاهليةِ ، وما أُحسِنُ الكِهانَةَ ، إلا أنِّي خَدَعْتُهُ ، فَلقِيَني فأعطاني بذلك ، فهذا الذي أكلت منه ، فأدْخَلَ أبو بكرٍ يَدَه ، فقاء كلَّ شيءٍ في بطنه) [1] .

---

(١) رواه البخاري (٣٨٤٢) .

هذه هي التقوى ، أن يكون المسلم حريصاً شديد التنبه ، شديد الحساسية ؛ يسأل عن كل أمر من الأمور ؛ هل حرام أم حلال ؟؛ ويهتم بجانب المال ؛ من أين جاء ؟ وكيف جاء ؟ حتى يقي نفسه سوء العذاب يوم القيامة .

وفي سنن ابن ماجَهْ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قيل لرسول الله ﷺ : أي الناس أفضل ؟ قال : (كل مخموم القلب ، صدوق اللسان) قالوا : صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب ؟ قال : (هو التقيُّ النقيُّ ، لا إثمَ فيه ولا بغيَ ولا غلَّ ولا حَسَد) [1] . وقد ذكر الله بعض أوصاف أهل التقوى في قوله : ﴿ ۞لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [2] .

وللتقوى مراتب :

المرتبة الأولى : اتِّقاء الخلود في النار باعتقاد كلمة التوحيد بالقلب ، والإقرار بها باللسان ، وهي كلمة التقوى ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ ﴾ [3] .

---

(١) سنن ابن ماجه (٤٢١٦) ، وقال البوصيري في (مصباح الزجاجة) (٣/ ٢٩٩) رقم (١٥٠٤) : هذا إسناد صحيح رواه البيهقي في سننه من هذا الوجه . أ .هـ .

(٢) البقرة : ١٧٧ .

(٣) الفتح : ٢٦ .

المرتبة الثانية : اتقاء غضب الجبار بفعل الفرائض واجتناب المحرمات ، وأهم ما في هذه المرتبه : أداء حقوق الناس وكفُّ الأذى عنهم ، وحفظ حرماتهم .

المرتبة الثالثة : اتِّقاء الشبهات بالورع والمسابقة إلى الخيرات ، كما في حديث النُّعمان بن بشير ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال : (الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ ، وبينهما مُشبَّهات ، لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتَّقى المُشبَّهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومَنْ وقع في الشُّبُهات كراعٍ يرعى حول الحِمى يُوشِكُ أن يواقعه ، ألا وإنَّ لكل مَلِكٍ حمى ألا وإنَّ حمى الله في أرضه محارمه ، ألا وإنَّ في الجسدِ مُضغةً إذا صَلَحت صلَحَ الجسدُ كله ، وإذا فَسدَت فسدَ الجسد كله ، ألا وهي القلب) [1] . وفي رواية : (ومن اجترأ على ما يشكُّ فيه من الإثم ، أوشك أن يُواقِعَ ما استبان ، والمعاصي حمى الله ، ومن يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه) [2] .

وفي رواية : (ومن يخالط الريبة يوشك أن يَجسُرَ) [3] . أي : يقرُب أن يقع في الحرامِ المحض .

---

(١) رواه البخاري (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) .

(٢) رواه البخاري (٢٠٥١) .

(٣) رواها أبو داود (٣٣٢٩) في البيوع ، والنسائي (٥٧١٠) في الأشربة ، وابن حبان (٧٢١) في الرقائق .

المرتبة الرابعة : اتِّقاء مالا بأس به حذراً مما به بأس ؛ ففي حديث عبد الله ابن يزيد ﷺ عن النبيِّ ﷺ أنه قال : (لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً مما به بأس) [1] .

وقال الحسن البصري : (ما زالت التقوى بالمتَّقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام) .

وأعظم زاد هو زاد التقوى ؛ قال تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [2] .

وأمرنا بالتعاون عليها ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [3] .

وأمرنا بالتناجي بها ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [4] .

والله تعالى هو أهلها ؛ كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ [5] .

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥١) ، وابن ماجه (٤٢١٥) ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب .

(٢) البقرة : ١٩٧ .

(٣) المائدة : ٢ .

(٤) المجادلة : ٩ .

(٥) المدثر : ٥٦ .

ولباسها خير لباس ؛ قال تعالى : ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [1] .

والعاقبة لها ولأهلها ؛ قال سبحانه وتعالى : ﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [2] . وقال جل وعلا : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [3] .

وهي وصية الله للأوَّلين والآخرين ؛ قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [4] .

وهي أساسُ قبول أعمال العباد ، وما يرفع إلى الله سبحانه منها ؛ قال تعالى : ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ [5] .

---

(١) الأعراف : ٢٦ .

(٢) طه : ١٣٢ .

(٣) هود : ٤٩ .

(٤) النساء : ١٣١ .

(٥) الحج : ٣٧ .

بعض ثمرات التقوى :

تحدثت في السطور السابقة عن تعريف التقوى لغة وشرعاً، ووضحت مراتبها وبعض الأمور التي تتعلق بها ؛ وأتحدث الآن عن جزاء من اتصف بالتقوى ، وبعض الثمرات والفوائد التي يجنيها من تخلق بها ، وعمل بها ، وسار عليها ؛ حتى تتشوق نفوسنا لتلك المرتبة ، وتزداد حرصاً على تنفيذها وتطبيقها .

أما جزاءات التقوى وثمراتها فهي كثيرة وعظيمة ، ومبثوثة في كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ ، وإننا نذكر طرفاً منها فقط ـ إيثاراً للاختصار ـ حتى نعرف قدرها العظيم ، فنأخذ أنفسنا بالجادة في سلوك طريقها ، والاتصاف بها .

وأول جزاء ، بل وأعظم جزاءٍ يناله المتقي لربه ﷻ ، هو محبة الله ﷻ لهذا المتقي ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[1] .

ولو كان هذا الجزاء هو الوحيد لمن اتقى الله ﷻ لكان أعظم جزاء ، وأكبر جزاء ، وأكرم جزاء ، أن يحبك الله تبارك وتعالى .

وقال عز من قائل : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[2] وكررها الله تبارك وتعالى في آياتٍ أخرى في كتابه سبحانه وتعالى .

---

(١) التوبة : ٤ .

(٢) آل عمران : ٧٦ .

والمحبة مقامها كبير وكريم ، ففي الحديث القدسي الذي رواه الإمام البخاري ، والذي يقول فيه رب العزة جل وعلا : (. . . وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبّ إليَّ مما افترضتُ عليه ، ولا يزالُ عبدي يتقرب إليَّ بالنوافلِ حتى أُحِبَّهُ ، فإذا أحببتُهُ كنتُ سمعه الذي يسمعُ به ، وبصَرهُ الذي يُبصر به ، ويده التي يبطشُ بها ، ورِجْلَهُ التي يمشي بها ، ولئِن سألني لأُعطِيَنَّه ، ولئِن استعاذني لأُعِيذَنَّه)[1] .

وعند الترمذي من حديث أبي الدرداء ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (كان من دعاء داود يقول : اللهم إني أسألك حبك ، وحب مَن يُحِبُّك ، وحب العمل الذي يبلغني حبك ، اللهم اجعل حبك أَحبَّ إليَّ من نفسي وأهلي ومن الماء البارد) ، قال : وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر داود يُحدِّث عنه قال : (كان أعبد البشر)[2] .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : (إذا أحب الله العبد نادى جبريل : إن الله يحب فلاناً فأحْبِبْهُ ، فَيُحِبُّهُ جبريل ، فينادي جبريلُ في أهل السماء : إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيُحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول : إني أُبغض فلاناً فأبغضه . قال : فيبغِضُهُ جبريل . ثم ينادي في أهلِ السماء : إن الله يُبغض فلاناً فأبغضوه . قال :

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً .

(٢) رواه الترمذي (٣٧٢٠) كتاب الدعوات ؛ وقال : حديث حسن غريب .

فيبغضونه . ثم توضَعُ له البغضاءُ في الأرض)[1] .

هذا المكسب العظيم من التقوى هو أعظم المكاسب ، وأكرمها ، وأَجلُّها ، وكل ما يتمناه المسلم العاقل هو محبة الله تبارك وتعالى ؛ وأعظم بها من محبة .

ثم بعد ذلك من جزاءات التقوى أيضاً : إزالة الهم وجلب الرزق ، يعني لا تكتفي التقوى بأن تزيل همك وفقرك وكربك ، بل وتعطيك جائزةً على ذلك ، بل وتعطيك نفحةً من نفحات الله ، بل وتعطيك فرجاً ورزقاً وخيراً .

لا يكفي أنها تكفر الذنوب ؛ بل وتضاعف الأجور ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ هل اكتفى بأن أخرجه من مخرجه ذلك ، ومن همِّه ذلك ، لا ، ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ ، ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ ييسر له أمره ، ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ سبب نزول هذه الآية أن عوف بن مالك الأشجعي ﷺ جاء إلى النبي ﷺ وقال : يا رسول الله إن ابني أسره العدو ، وجزعت أمه ، فما تأمرني ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : (اتق الله واصبر ، وآمرك وإياها أن تستكثرا من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله) فعاد إلى بيته ، وقال لامرأته : إن رسول الله ﷺ أمرني وإياك أن نستكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله . فقالت : نِعْمَ ما أمرنا به ؛ فجعلا يقولان ؛ فغفل العدو عن ابنه ، فساق غنمهم ، وجاء بها إلى أبيه ؛ وهي أربعة آلاف شاة ؛ فنزلت الآية ، وجعل النبي ﷺ تلك الأغنام له .

---

(١) رواه البخاري (٣٢٠٩) ، ومسلم (٢٦٣٧) واللفظ له ، وأحمد في المسند (٨٥٠٠) .

وفي رواية : أنه جاء وقد أصاب إبلاً من العدوّ وكان فقيراً؛ قال الكلبي : أصاب خمسين بعيراً .

وفي رواية : فأفلت ابنه من الأسر وركب ناقة للقوم ، ومرّ في طريقه بسَرْح لهم فاستاقه . وقال مقاتل : أصاب غنماً ومتاعاً ، فسأل النبيَّ ﷺ : أيحلُّ لي أن آكل مما أتى به ابني ؟ قال : (نعم) ، ونزلت : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[1] .

والتقوى ترفع صاحبها فتجعله من أهل الكرامة عند الله ﷻ ، فبقدر تقواه بقدر ما يكون كريماً عند الله ﷻ ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[2] ، أرأيتم مكانة التقوى عند الله تبارك وتعالى ، وجزاءها ، وأعظم به من جزاء .

وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً : (إنَّ الله يقول يوم القيامة : أمرتكم فضيعتم ما عَهِدتُ إليكم فيه ، ورفعتم أنسابكم ، فاليوم أرفع نسبي ، وأضعُ أنسابكم ، أين المتقون ، أين المتقون ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾)[3] .

---

(١) (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي (١٨ / ١٠٦) في تفسير سورة الطلاق .

(٢) الحجرات : ١٣ .

(٣) رواه الحاكم ، والبيهقي في (شعب الإيمان) ، وضعفه الألباني في (ضعيف الجامع) برقم : (١٧٥٤) .

هذا هو نسب الله تبارك وتعالى ؛ التقوى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ؛ لا بالأجناس ، ولا بالألوان ، ولا بالأطوال ، ولا بالأجسام ، ولا بالجمال ، ولا بالمال ، ولا بالحسب ، وإنما بالتقوى ، والتقوى محلها القلب ، وهي الخوف من الله تبارك وتعالى .

ومن جزاءات التقوى : أن المتقين هم أولياء الله تبارك وتعالى ، أنك إذا اتقيت الله ﷻ أصبحت ولياً لله .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ لا خوف عليهم في الدنيا ولا هم يحزنون في الآخرة ، ومن هم يارب ؟ ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾[1] .

وقال ﷻ : ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[2] إذا اتقيت الله ﷻ فأنت الرابح ، وأنت الفائز في الدنيا وفي الآخرة .

ومن جزاء المتقين أنهم فائزون بمعية الله تبارك وتعالى ، أنَّ من اتقى الله كان الله معه ، معه بهدايته وبتوفيقه وبنصرته ، ومن كان الله معه فمن ذا الذي يغلبه ؟! ، ومن الذي يقهره ؟! لا أحد ، لأن الله معه سبحانه وتعالى ، كما كان مع نبيه موسى عندما ضرب البحر ، ومع نبيه محمد ﷺ في الغار ؛ عندما قال للصدِّيق : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾[3] .

---

(١) يونس : ٦٢ ـ ٦٣ .

(٢) الجاثية : ١٩ .

(٣) التوبة : ٤٠ .

قال تبارك وتعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[1] ، وقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[2] .

إذا اتقيت الله تبارك وتعالى كان الله ﷻ معك ، وإذا كان الله ﷻ معك نصرك ، وأَخرجك من همك ومن غمك ، ورزقك رزقاً مباركاً .

والمتقون هم المقبولة أعمالهم عند الله تبارك وتعالى ؛ فمن جزاءات التقوى أن أعمال المتقين مقبولة عند الله ﷻ .

قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[3] .

والتقوى تجعل لصاحبها فرقاناً بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ، يعني تجعل له بصيرة ؛ لا بصر بعينه وإنما بصيرة بقلبه ، يُفرِّق بها بين الخطأ والصواب ، وبين الخير والشر ، وبين الحق والباطل .

أما الذي أعمى الله بصيرته ، فهو لا يدري العمل الذي يعمله ، أهو خير أم شر ؟ والعياذ بالله ﷻ ؛ وهذا حال كثير من الغافلين والعياذ بالله ﷻ .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾[4] .

---

(١) البقرة : ١٩٤ .

(٢) النحل : ١٢٨ .

(٣) المائدة : ٢٧ .

(٤) الأنفال : ٢٩ .

ومن جزاءات التقوى أنها تصلح أعمال الإنسان الدنيوية والأخروية ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[1] .

ومن جزاءات التقوى أن الخاتمة لها ، وأن العاقبة لها ، وأن النهاية لها ، حتى ولو رأيت المتقين على ضعفٍ ، وعلى هزيمةٍ ، وعلى خوفٍ ، فإن النهاية لهم ، وإن العاقبةَ لهم ، وإن الخاتمة لهم ، ليس المهم أن ينتصر الإنسان في أول الأمر ، ولا في وسطه ، ولكن المهم أن يكون منتصراً في آخره ، فالمتقي لله ﷻ هو المنتصر ، وهو الفائز في نهاية المطاف .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2] .

وقال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[3] .

والجزاء المقابل للتقوى في الآخرة هو الجنة ، قال تبارك وتعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[5] .

---

(١) الأحزاب : ٧٠ ـ ٧١ .

(٢) القصص : ٨٣ .

(٣) هود : ٤٩ .

(٤) آل عمران : ١٣٣ .

(٥) القمر : ٥٤ ـ ٥٥ .

وقال : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾[1] .

وقال : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴾[2] .

وقال : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾[3] .

وقال : ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[4] .

فهل بعد هذه الجزاءات والعطاءات العظيمة من محبة الله ، ومن تفريج للكربات ، ومن نصر ، ومن رزقٍ ، ومن خيرٍ ، ومن معيّةٍ لله ، ومن ولايةٍ لله ، ومن فوزٍ وحسن عاقبة ، ومن جنةٍ عرضها السماوات والأرض . . . إلخ ؛ هل بعد ذلك يُقَصِّر مُقَصِّرٌ عن أن يلحق بركب المتقين ؛ فهل يوجد عاقل يسمع بكل هذه الآيات ، وهذه الأحاديث فلا يأخذ على نفسه بأن يكون معهم ، وأن يكون على طريقهم وأخلاقهم ؛ حتى ينجيه الله تبارك وتعالى معهم .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا جميعاً من المتقين .

---

(١) الحجر : ٤٥ .

(٢) الطور : ١٧ .

(٣) النبأ : ٣١ ـ ٣٤ .

(٤) ق : ٣١ ـ ٣٥ .

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾

الإيمانُ في اللغة والشرع

الإيمان في اللغة : التصديق ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ [1] .

قال ابن جرير الطبري رحمه الله : (ومعنى الإيمان عند العرب : التصديق ، فيُدعى المُصدِّقُ بالشيء قولاً مؤمناً به ، ويُدعى المصدِّق قوله بفعله مؤمناً ، ومن ذلك قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ يعني : وما أنت بمصدِّقٍ لنا في قولنا . وقد تَدخُل الخشيةُ لله في معنى الإيمان الذي هو تصديق القول بالعمل) [2] .

وقال ابن كثير رحمه الله : (أما الإيمان في اللغة : فيطلق على التصديق المحض ، وقد يستعمل في القرآن والمراد به ذلك ، كما قال الله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [3] ، وكما قال إخوة يوسف لأبيهم : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ

---

(١) يوسف : ١٧ .

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٤١) .

(٣) التوبة : ٦١ .

﴿ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ ، وكذلك إذا استعمل مقروناً مع الأعمال ؛ كقوله : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾)[1] .

والإيمان في الشرع : تصديق بالجَنَان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان .

فمن أخلَّ بالتصديق فهو منافق ، ومن أخل بالإقرار فهو كافر ، ومن أخلَّ بالعمل فهو فاسق .

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله : (والإيمان كلمةٌ جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله ، وتصديق الإقرار بالفعل . فإذ كان ذلك كذلك ، **فالذي هو أولى بتأويل الآية وأشبهُ بصفة القوم** أن يكونوا موصوفين بالتصديق بالغيب قولاً واعتقاداً وعملاً)[2] .

وقال ابن كثير رحمه الله : (**فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقاداً وقولاً وعملاً** . هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة ، بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيد وغير واحد إجماعاً : أن الإيمان قولٌ وعملٌ ، يزيدُ وينقص)[3] .

والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وأهله فيه متفاوتون ؛ فأفضلهم أولو العزم من الرسل ، وأدناهم المُخلِّطون من أهل التوحيد ، وبين هؤلاء وأولئك درجاتٌ ورتب لا يعلم حصرها إلا علام الغيوب .

---

(١) سور العصر : ٣ ، " تفسير ابن كثير " (١/ ١٨٣) ط . ابن حزم .

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٤١) .

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ١٨٣) ط . ابن حزم .

وأركان الإيمان ستة وهي : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . كما ورد ذلك في حديث جبريل عليه السلام .

والمؤمن مطالبٌ بالإيمان ـ بمعنى زيادته والثبات عليه ـ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١) .

وقال أيضاً : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ (٢) . وقال سبحانه أيضاً : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ . . . ﴾ (٣) .

الإيمان بالغيب

وقوله : ﴿ . . بِٱلْغَيْبِ ﴾ : **الغيب** هو كل شيء مُسْتَتِرٌ عنك ، لا يمكنك رؤيته والاطلاع عليه .

وقوله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ أي : (يصدِّقون بما غاب عن الحسِّ والعقل غيبة كاملة ، بحيث لا يُدرك بواحد منهما ابتداءً بطريق البداهة ، وهو

---

(١) الأنفال : ٢ .

(٢) الحجرات : ١٥ .

(٣) النساء : ١٣٦ .

قسمان : قسم لا دليل عليه ، وهو المراد من قوله تعالى : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ... ﴾[1] . ومنه القَدَر الذي استأثر الله بعلمه ، وقسم قامت عليه البراهين : كالصانع وصفاته تبارك وتعالى ، وكالنبوَّات وما يتعلَّق بها من الأحكام والشرائع ، واليوم الآخر وأحواله من البعث والنشر ، والحساب والجزاء وهو المراد ههُنا)[2] .

وقال أبو العالية ، وقتادة بن دعامة في قوله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ قالا : يؤمنون بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وجنته وناره ولقائه ، ويؤمنون بالحياة بعد الموت ، وبالبعث ، فهذا غيبٌ كله .

وعن ابن عباس ، وابن مسعود ، وناس من أصحاب النبي ﷺ ، ورضوان الله عليهم جميعاً أنهم قالوا : الغيب ما غاب عن العباد من أمر بالجنة وأمر بالنار ، وما ذُكر في القرآن .

وقال زيد بن أسلم : ﴿ بِٱلْغَيْبِ ﴾ : بالقَدَر .

وقال عطاء بن أبي رباح : من آمن بالله فقد آمن بالغيب .

---

(١) الأنعام : ٥٩ .

(٢) نور الإيمان في تفسير القرآن (الفاتحة والبقرة) ، لمحمد مصطفى أبي العلا . ص (٤٣ ، ٤٤) ط . دار البشائر الإسلامية .

وقال الحافظ بن كثير رحمه الله في هذه الأقوال وما شابهها : (فكل هذه مُتقاربة في معنىً واحد ؛ لأن جميع هذه المذكورات من الغيب الذي يجب الإيمان به) [1] .

فكل ما ذكر من أقوال سابقة وغيرها مما يخفى علينا بوجهٍ من الوجوه ؛ فهو غيب ، وهو مرادٌ من هذه الآية ؛ كل هذه الأشياء : القرآن ، والوحي ، والله ﷻ ، والإيمان الجنة والنار ، وبالرسول ﷺ ؛ كلها داخلة في الإيمان بالغيب .

ويؤكد ذلك حديث النبي ﷺ لما جاءه جبريل عليه السلام فسأله عن الإسلام ؛ ثم سأله عن الإيمان ، ثم سأله عن الإحسان ؛ والإحسان مرتبة أعلى من الإيمان ، والإيمان مرتبة أعلى من الإسلام ؛ نسأل الله ﷻ أن يبلغنا هذه المراتب العاليات بفضله وكرمه ، إنه على كل شيءٍ قدير .

فسأله جبريل ، قال : ما الإيمان ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : (أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى) [2] .

هذا هو الإيمان ، وهو مشتمل لكل هذه الأشياء التي ذكرها العلماء ، يدخل فيه القرآن ، ويدخل فيه الله تبارك وتعالى ، والملائكة ، فكل ذلك من الغيب الذي يثيبنا الله تبارك وتعالى عليه .

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٨٤) .

(٢) رواه مسلم (٨) كتاب الإيمان من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ولكن الله ﷻ لم يجعل هذا الغيب غيباً مطلقاً ، وإنما أقام عليه الحجج والبراهين التي تدل على وجوده سبحانه وتعالى ، فلم يقل الله لك : آمن بالله ﷻ ، ثم بعد ذلك لم تجد آثاراً تدل على وجوده ، وآيات وبراهين مقنعة ؛ لا ، بل أوجد من البراهين الشيء الكثير .

وفي كل شيءٍ له آية تدل على أنه واحد

ومن الإيمان بالغيب ؛ الإيمان بنبينا محمد ﷺ ؛ ففي حديث أبي جمعة الأنصاري رضي الله عنه أنه قال : تغدَّينا مع رسول الله ﷺ ومَعنَا أبو عبيدة بن الجراح ، قال : فقال : يا رسول الله ! هل أحدٌ خيرٌ مِنَّا ؟ أسلمنا معك ، وجاهدنا معك ، قال : (نعم ، قومٌ يكونون من بعدكم يُؤمنون بي ولم يروني) .

وفي رواية : أن أبا جُمعة الأنصاري رضي الله عنه قال : قلنا : يارسول الله ! هل أحدٌ خيرٌ منا ؟ قال : (قومٌ يجيئون من بعدكم ، يجدون كتاباً بين لوحين ، يؤمنون به ويصدِّقون ، هم خير منكم)[1] .

وفي رواية : أنّ أبا جمعة الأنصاري رضي الله عنه قال : كنَّا مع رسول الله ﷺ : ومعنا معاذ بن جبل عاشِر عَشرة ، فقلنا : يا رسول الله ! هل من أحدٍ أعظم منا أجراً ؟ آمنَّا بالله واتَّبعناك ؟! قال : (ومايمنعكم من ذاك ، ورسولُ الله بين أظهركم ،

---

(١) رواه أحمد (١٦٩٧٦) ، والطبراني في الكبير (٣٥٣٧ ، ٣٥٤١) ، والحاكم (٤/ ٨٥) . وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

يأتيكم بالوحي من السماء ؟ بل قوم يأتون من بعدكم يأتيهم كتاب بين لوحين ، فيؤمنون به ويعملون بما فيه ، أولئك أعظم منكم أجراً)[1] .

وقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ زار المقابر ذات مرَّة ، وسلَّم على أهلها ، ثم قال : (وددتُ لو أنني لقيتُ إخواني) فقال أصحابُ النبي ﷺ : أوليس نحن إخوانك ؟ قال : (أنتم أصحابي ، ولكن إخواني : الذين آمنوا بي ولم يروني)[2] .

من صفات أهل الإيمان

ذكر الله ﷻ صفات المؤمنين في آياتٍ كثيرة في القرآن العظيم ، ومنها قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[3] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[4] .

---

(١) انظر (مسند أحمد) (٢٨/ ١٨٢ ـ ١٨٥) .

(٢) رواه أحمد (١٢٥٧٩) من حديث أنسٍ ﷺ ، وقال محققو المسند : حسن لغيره .

(٣) الأنفال : ٢ .

(٤) الحجرات : ١٥ .

وقال أيضاً : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1] .

والحديث عن صفات المؤمنين حديث طويل ؛ غير أن اللبيب الأريب تكفيه الإشارة .

والإيمان مرتبط ارتباطاً عظيماً بأخلاق المسلم ؛ بمعاملة المسلم مع إخوانه المسلمين ، وفي ذلك يقول النبي ﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[2] .

إذاً هناك علاقة بين المعاملة بينك وبين أخيك المسلم وبين الإيمان ؛ ويؤكد ذلك أيضاً ؛ قوله عليه الصلاة والسلام : (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لأهله)[3] .

---

(١) المؤمنون : ١ ـ ١١ .

(٢) رواه البخاري (١٣) ، ومسلم (٤٥) من حديث أنس ﷺ .

(٣) رواه الترمذي (١١٦٢) في الرضاع ، وقال : حديث حسن صحيح . وهو عند أبي داود (٤٦٨٢) في السنة .

والإيمان في القلب ، ومع ذلك ربطه الله تبارك وتعالى بحسن الخلق (فأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) فما أحرانا أن نتخلق بأخلاق الإسلام ؛ حتى يزداد إيماننا بالله تبارك وتعالى ، وكتبه ، ورسله .

وقد ذكرنا قول الحق ﷻ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾[1] ، هذه حقيقة الإيمان ، إذا ذكر الله وجلت القلوب ، فإذا وجل قلب المؤمن عند سماع كلام الله ﷻ فقد اتصف بحقيقة الإيمان ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ وتصديقاً ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ .

وقال عليه الصلاة والسلام ذات يومٍ لحارثة : (كيف أصبحت يا حارثة ؟) قال : أصبحت مؤمناً حقاً . قال : (إن لكل شيءٍ حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟) قال : عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً ، وكأني بأهل الجنة يتنعمون فيها ، وكأني بأهل النار في النار يعذبون . فقال له عليه الصلاة والسلام : (أصبت فالزم ، مؤمن نور الله قلبه)[2] .

---

(١) الأنفال : ٢ ـ ٤ .

(٢) قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (١٩٠) ط. دار الفكر : رواه البزار ، وفيه يوسف بن عطيه ؛ لا يحتج به .

وقوله : (فأسهرت ليلي ، وأظمأت نهاري) أي : بالصيام والقيام ، وقوله : (عزفت نفسي عن الدنيا) النفس ؛ وليس الظاهر كما هو حال بعض الناس فتجده في ظاهره عازفاً ، وفي قلبه متعلقاً بها ، شغوفاً بها ، محباً لها ، فليس هذا بزهد ، وليس هذا بإهمالٍ لهذه الحياة الدنيا ، بل الزهد أن تكون في قلبك ليست لها قيمة ، ليس لها وزن ، ليس لها تعلق .

هذه حقيقة الإيمان ، أن تعرف حقيقة الدنيا فتعزف نفسك عنها ، أن تعرف حقيقة الآخرة فتتقرب منها ، أن تعرف حقيقة كلام الله ﷻ فيخشع قلبك عند سماع كتاب الله تبارك وتعالى .

وللإيمان كمال واستكمال ؛ فقد تقدم ما رواه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ ؛ عن النبي ﷺ أنه قال : (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم)[1] .

إذا أردت كمال الإيمان ، وهنيئاً لك إذا بلغت كمال الإيمان فلتكن حسن الخلق ؛ وليس هناك فصل بين الإيمان والخلق ، فلا يظن ظان أنه مؤمن إيماناً قوياً ، وأنه صحيح العقيدة كاملها ، وأخلاقه سيئة في تعامله مع والديه ، ومع أقاربه ، ومع جيرانه ، ومع أصحابه ، ومع الناس ؛ فإن سوء خلقه دلالة على سوء عقيدته ، وعلى سوء إيمانه والعياذ بالله ﷻ .

---

(١) رواه الترمذي (١١٦٢) في الرضاع ، وقال : حديث حسن صحيح . وهو عند أبي داود (٤٦٨٢) في السنة .

وعن أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (من أَحبَّ لله ، وأبغضَ لله ، وأعطى لله ، ومنعَ لله ، فقد استكمل الإيمان) [1] .

إذا كان الحب ليس حباً للدنيا ، وليس حباً لشهواتها ، ورغباتها وإنما حباً في الله وكرهاً لله ، وعطاءً لله ، ومنعاً لله ، فقد استكمل الإيمان .

وروى أحمد بسندٍ حسن عن أبي هريرة ﷺ قال : قال عليه الصلاة والسلام أيضاً : لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في المزاح والمراء وإن كان صادقاً) [2] .

وللإيمان طعم وحلاوة ؛ فعن العباس بن عبد المطلب ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول : (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً) [3] .

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال : (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) ؛ الرجل الذي أحب الله ﷻ وأحب رسوله أعظم من كل شيء ، فهذا الذي يذوق حلاوة الإيمان ، وكذلك (وأن يحب المرءَ لا يُحِبُّه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار) [4] .

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٨١) ، وأحمد (٣ / ٤٣٨ ، ٤٤٠) وهو حديث حسن .

(٢) رواه أحمد (٢ / ٣٥٢ ، ٣٦٤) .

(٣) رواه مسلم (٣٤) في كتاب الإيمان .

(٤) رواه البخاري (١٦ ، ٦٩٤١) ، ومسلم (٤٣) .

وللإيمان شعب كثيرة ، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (الإيمان بضع وسبعون شعبة) وفي روايةٍ : (بضع وستون شعبة ، أفضلها : قول لا إله إلا الله ، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان) [1] .

وفي الحديث الحسن عن أبي هريرة ﷺ قال : قال عليه الصلاة والسلام : (الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء في النار)[2] .

وللإيمان صريح ومحض ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال : جاء ناسٌ من أصحاب النبي ﷺ فسألوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدُنا أن يتكلم به ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : (وقد وجدتموه ؟) قالوا : نعم . قال : (ذاك صريح الإيمان) [3] .

وعن ابن مسعود ﷺ قال : سئل النبي ﷺ عن الوسوسة فقال : (تلك محضُ الإيمان) [4] .

---

(١) رواه البخاري (٩) ، ومسلم (٣٥) .

(٢) وراه أحمد (٢ / ٥٠١) ، والترمذي (٢٠٠٩) ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) رواه مسلم (١٣٢) .

(٤) رواه مسلم (١٣٣) .

وللإيمان مثال ضربه النبي ﷺ بقوله : (مثل المؤمن كزرعٍ لا تزال الرياح تُفِيئُهُ ، ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء ، ومثل المنافق كمثلِ شَجَرَةِ الأُرْزِ لا تهتز حتى تَسْتَحْصِدَ)[1] والعياذ بالله ﷻ .

فهذا مثال ضربه النبي ﷺ للمؤمن الذي يبتليه ﷻ بالبلاء .

وضرب النبي ﷺ للمؤمن مثالاً آخر ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وهي مثل المؤمن . حدثوني ما هي ؟) قال ابن عمر : فوقع الناس في شجر البوادي ، وكنت من أحدَثُ الناسِ ـ أي : أصغرهم ـ ، ووقع في صدري أنها النخلة ، فقال رسول الله ﷺ : (هي النخلة) فاستحييت ـ يعني أن أقول ـ قال : فذكرت ذلك لأبي ، فقال : لأن تكون قلته ؛ أَحَبُّ إليَّ من كذا وكذا [2].

---

(١) رواه مسلم (٢٨٠٩) ، والترمذي (٢٨٦٦) واللفظ له من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح . الأُرْز : بفتح الهمزة وتضم وإسكان الراء بعدهما زاي : وهي شجرة الصنوبر ، وقيل : شجرة الصنوبر الذكر خاصةً ، وقيل : شجرة العرعر ، والأول أشهر .

(٢) رواه أحمد (٦٤٦٨) ، والبخاري (٧٢) ، ومسلم (٢٨١١) .

والإيمان يتجدد فقد قال ﷺ ذات يومٍ لأصحابه ـ والحديث حسن ـ : (جَدِّدوا إيمانكم) قالوا : وكيف نجدد إيماننا يا رسول الله ؟ قال : (أكثروا من قول لا إله إلا الله) [1] فإنها تجدد الإيمان .

وللإيمان أجزاءٌ ؛ فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض) [2] .

وللإيمان بلد يأوي إليه ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جُحرها) [3] .

ومن صفات المؤمنين ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) [4] .

---

(١) رواه أحمد (٢ / ٣٥٩) ، والطبراني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وقال المنذري في « الترغيب » (٢٢٦٠) : وإسناد أحمد حسن .

(٢) رواه مسلم (٢٢٣) ، والترمذي (٣٥١٧) ، وابن ماجه (٢٨٠) ، والنسائي (٥ / ٥) مع اختلاف يسير في اللفظ .

(٣) رواه البخاري (١٨٧٦) ، ومسلم (١٤٧) .

(٤) رواه البخاري (٦١٣٨) ، ومسلم (٤٧) .

وفي رواية لمسلم : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يـؤذِ جـاره) ، وفي رواية : (فليحسن إلى جاره) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده ، والمُهـاجر مـن هجـر مـا نهـى الله عنه) [1] .

وعند الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويـده ، والمـؤمن مـن أمنـه النـاسُ عـلى دمـائهم وأموالهم) [2] .

(١) رواه البخاري (١٠) ، ومسلم (٤٠) .

(٢) رواه الترمذي (٢٧٦٢) كتاب الإيمان ، وقال : حديث حسن صحيح .